سينما

راهن بيروت وذاكرتها

الآنيّ مدمَّر والتاريخ معطّل

في ظلّ ما يجري في «الجامعة الأميركية في بيروت» ومستشفاها، يُستعاد «74، استعادة لنضال»، عن تمرّد طالبي عشية اندلاع الحرب الأهلية اللبنانية

نديم جرجوره

يحدث في «الجامعة الأميركية في بيروت» ومستشفاها «العريقين» ما يحدث اليوم في بلدٍ منهار. الموت فتّاك، يُصيب أفراداً ومؤسّسات، ويعطب أخلاقاً، ويُزوّر وقائع لمصلحة مال وسلطة. فسادٌ مستشرٍ، وهدر غير موصوف، وسوء إدارة قاتل. لكنّ الثمن تدفعه عاملات وعاملون، وإنْ يُحسَب بعضهم على قبائل وطوائف ومذاهب، تريد لهؤلاء وظائف ورواتب من دون عملٍ، والإدارة اللبنانية الأخيرة منصرفة إلى فسادٍ وهدر وتشبيح. مئات المطرودين مؤخّراً من الجامعة ومستشفاها يُكملون مشروع إلغاء البلد واجتماعه وناسه. الشوارع تتّسع للمنبوذين. القبر واسع. الخراب يفتح مزيداً من الدروب إلى الجحيم.

يحدث في الجامعة ومستشفاها اليوم ما يُذكّر بتاريخ وحراكٍ. الاجتماع اللبناني معروفٌ بغليان طلاب وشباب وعمّال قبل اندلاع الحرب الأهلية (1975 ـ 1990). كلّ تقدّم، وإنْ يكن طفيفاً، يحصل بعد عراكٍ ومواجهات وتظاهرات وغضب. مؤسّسات تلجأ إلى رجال أمن وعسكر، وطلاب وشباب وعمّال يتمسّكون بحقّ وحرية وسعي إلى حقوق مشروعة ومطالب محقّة. مؤسّسات فاسدة تحتمي برجال أمن وعسكر لتُحصّن فسادها من الانكشاف، وطلاب وشباب وعمّال يكسرون حاجز الخوف، ويتحدّون بطش السلطة وحقارة المؤسّسات، ويحصلون أحياناً على مرادهم، فتَنَانين المال والأمن والسياسة والاقتصاد أقوى من أفرادٍ يحملون كتاباً أو منجلاً أو آلة عمل.

يحدث في الجامعة ومستشفاها اليوم ما يُحيل إلى وثائقيّ متخيّل، يُعيد تركيب لحظةٍ تاريخية بأدوات سينمائية، لتوثيق ذاكرة وبثّ تفاصيلها أمام راهنٍ يشهد خرابه منذ سنين. عام 2013، يُعرَض «74، استعادة لنضال» لرانيا ورائد الرافعي (كاتبا السيناريو). فيلمٌ خارج كلّ تصنيف شكليّ. الوثائقي حاضرٌ والمتخيّل طاغٍ. الحكاية حاصلةٌ قبل 40 عاماً (عند إنجاز الفيلم)، يجعلها الفيلم نواة درامية لسرد موثّق عن علاقة أفرادٍ بمؤسّسة: عام 1974، خلال 37 يوماً في شهري مارس/ آذار وإبريل/ نيسان، يتمرّد طلابٌ على قرار إدارة «الجامعة الأميركية في بيروت»، القاضي بزيادة الأقساط بنسبة 10 بالمئة. يحتلّ هؤلاء بعض مكاتبها، مدعومين من زملاء لهم. نبأ التمرّد ينتشر في مدينةٍ تعيش غلياناً يُريد تحرير البلد من منطق الفندق، لجعله وطناً.

هذه نواة الحبكة. هذا جوهر النصّ. الحكاية أبعد من هذا وذاك، وأوسع وأشمل وأهمّ. الحكاية تُصيب مدينة وبلداً، وتقول إنّ مواجهة تنانين المال والسلطة واجبٌ وقدر. الحراك ممتدّ في متاهات بلدٍ واجتماع، فيصطدم بحيتان تُعنى بنفوذ وسلطة ومصالح. رانيا ورائد الرافعي يُعيدان صوغ المشهد القديم بلغة راهنة. يتعاونان مع شابات وشبان (نسيم عرابي ونزار سليمان وريتا هدرج وأسعد ذبيان ويُسري الشامي وساندرا نجيم ومعروف مولود) لتمثيل الحدث، فيظهر هؤلاء كأنّهم يعيشون الحالة بدلاً من تمثيلها وتقديمها. عام 2013 وما قبله بقليل (فترة الاشتغال على صناعة الفيلم، بدءاً من عام 2011) تُشبه أعوام ما قبل اندلاع الحرب الأهلية. خرابٌ يتطلّب مواجهة، وقمع يفرض تحدّيات، ومؤسّسات تحتمي برجال أمن وعسكر تدفع مدنيين ولاعنفيين إلى مقارعة التنانين بشتّى الوسائل السلميّة، وإنْ يكن الغضب والتوتّر عصب المقارعة. «74، استعادة لنضال» يُشاهَد اليوم بعين أخرى لن تحول دون تبيان جمالياته الفنيّة وسرديته الأخلاقية وحيويته الإنسانية. طالبات وطلاب غير آبهين إلّا بحقّ لهم في علم، يجب ألّا يقف المال عائقاً دون بلوغه. رفضٌ يؤدّي إلى مواجهة واحتلال مكاتب ونقاش غير منتهٍ عن لحظة وما بعدها. الصُور تقول ما تصمت الشابات والشبّان عن قوله. في أروقة الجامعة، يريد هؤلاء كتابة فصلٍ من تاريخ بلد وناس، رغم الوحش الفاتك بهم. يحدث اليوم، في الجامعة ومستشفاها، ما يُفترض به أنْ يُثير غضباً وتوتّراً يؤدّيان إلى احتلال مكاتب وأروقة ودهاليز لمنع استكمال الجريمة المنظّمة بحقّ شعب، رغم أنّ غالبية الشعب صامتة وخانعة وراضية إكراماً لزعيم قبيلة ورئيس طائفة وسيّد مذهب. جماليات الفيلم متنوّعة. تصوير (نديم صوما) يرافق الشخصيات في مساراتها ومصائرها، واضعاً المكان في صدارة المشهد، كأنّه شخصية أساسية في البناء الدرامي. التوليف (رانيا الرافعي) يُكمل مهمّة التصوير، فله دور في تكوين الحكاية عبر صُور وتقطيع وكادرات. النقاش مهمّ. المناخ الدرامي والواقعي يجمع بين ذاكرة وراهن. هذا كلّه دافعٌ إلى تساؤل عن خواء حاصل في راهن بيروت. أفرادٌ قليلون يلتقون في اعتصام أو تظاهرة، احتجاجاً «شبه» صامت وسط ضجيج آلياتٍ تحمي فساداً، وفقراء يمنعون فقراء من مقارعة وحوش المال والسلطة. «74، استعادة لنضال» يُفترض به أنْ يُعيد إلى بيروت اليوم بعض بهاء قديم لها، إنْ تكن للسينما قدرة التحريض على حراكٍ أو تساؤلات أو نقاش.

رانيا الرافعي: جماليات سينمائية في زمن الخراب (الملف الصحافي للفيلم)

> حكاية قديمة عن مدينة غارقة في راهن محطّم ومكسور

تنمّر يفضح بطش فنّ وثقافة

نقابة مصرية أفدح من سلطة بوليسية

يندرج بيان «نقابة المهن التمثيلية» في مصر (19 يوليو/ تموز 2020)، بخصوص الممثل عبد الرحمن أبو زهرة، في إطار تقديس رموز لمنع المسّ بها، ومنح شخصية ما لقباً يُحصّنها، أو هكذا يظنّ مطلقو الألقاب والأوصاف، من أي اعتداء أو انتقادٍ. والبيان، الصادر بعد «فضح» سلوك الممثل في البلاتوه، يؤكّد مجدّداً أنّ مصر مستمرّة في العيش بعيداً عن تبدّلات خطرة يفرضها «كورونا» على البشرية يوماً تلو آخر، وأنّ مصر منشغلة بأمور كثيرة لا فائدة منها ولا معنى لها ولا هدف، سوى إلهاء الناس عن مصائب يعيشونها بسبب سلطة بوليسية، تتمثّل بالحكم وبأوساطٍ ثقافية وفنية وإعلامية، تمتلك حسّاً بوليسياً أخطر من ذاك الذي يتمتّع به حكم سياسي ديكتاتوريّ قامع.

التنمّر الموصوف به عبد الرحمن أبو زهرة، أمس واليوم، غير ذي أهمية بالنسبة إلى نقابةٍ وإلى مُطبّلين لها ومعها، وإلى منضوين في فضائها الخاضع لقمع السلطات. بينما المسّ بالرجل، كأنّه المعصوم عن الخطأ، أخطر من مصائب عالمٍ ينهار، ومجتمعات تتفكّك، وبلدان تتغيّر، وعلاقات تتبدّل، وأفكارٍ تعاني غياباً مطلقاً لتأمّل وابتكار وفهم ومتابعة. التنمّر عادي، بينما فضح الرجل أخطر من بؤس اجتماع مصري مقموع بعنفٍ غير مسبوق، وبإعدامات غير منتهية، وبسجون مفتوحة أمام كلّ من يتفوّه بتعبيرٍ أو قول ينسجمان مع قناعة. الاقتصاد منهار. الوباء متفشٍّ. القمع يزداد. العربدة الأمنية والعسكرية لا حدّ لها. الإعلام قذر. الفقر فاحش. هذا كلّه عادي بالنسبة إلى نقابةٍ «يُسيِّرها» ضابط رخيص لمصالح نظام أرخص.

والنقابة التي يترأسها أشرف زكي مهمومة بممثل غير عابئ بأصول مهنة وأخلاق مهنة وعلاقات، رغم براعته في أداء أدوار، لن يحول الأداء دون تبيان سلوكٍ نافر في التعاطي مع الآخرين. جدّيته وجماليات تمثيله أحياناً، المعرّضة لنقاش نقدي دائم، لن تكون عائقاً أمام كشف أسلوب شخصي في التصرّف والقول والتنمّر. إعلانه أنّه مُصابٌ باكتئاب لانفضاض المهنة عنه في عمر متقدّم، لن يمنع تنقيباً في سجلّه، وإنْ يُكشف المخبّأ بعد سنين، فهذا يحصل في هوليوود أيضاً، لكن المتّهم هناك يُحاكم.

الحضور الفني لأبي زهرة لن يجعله معصوماً عن نقد أعماله وانتقاد تصرّفاته وأقواله وتنمّره، طالما أنّ هذه مسيئة للناس، وبعض التنمّر والسلوك القاسي نتاج حضور طاغ لعبقرية أداء، أحياناً. حماية النقابة، المشتبه بأمر علاقاتها الأمنية والبوليسية في بلدٍ خاضع للأمن والبوليس، تُثير رعباً في نفوس مُنتقدين وقائلين، لكنّ بعضهم غير مبالٍ، فحرية القول والتعبير أهمّ بالنسبة إليه، مع أنّ المصير بشعٌ. كاشفات تنمّر الممثل منسحبات لاحقاً من تصريحاتهنّ، فالقمع أقوى، وتسلّط النقابة عليهنّ أعنف من بطش السلطة. «نقابة المهن التمثيلية» تُشبه مؤسّسات ثقافية وفنية (وبعض الفنيّ سينمائيّ أيضاً) تتفوّق على السلطة بممارساتها الأمنية والبوليسية القامعة، كمن يطلب شهادة حسن سلوك من حكمٍ غير آبه بالناس وحقوقهم ومطالبهم المشروعة. نقابة تُرهب المنتسبين إليها، خصوصاً إنْ يكن هؤلاء سيدات أو آنسات، فالمنطق الذكوري غالبٌ دائماً، والسلطة تؤيّد منطقاً كهذا، معطوفاً على سلوك أمني وبوليسي.

ندي...

> نقابة مهمومة بممثل غير عابئ بأصول مهنة وأخلاقها

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

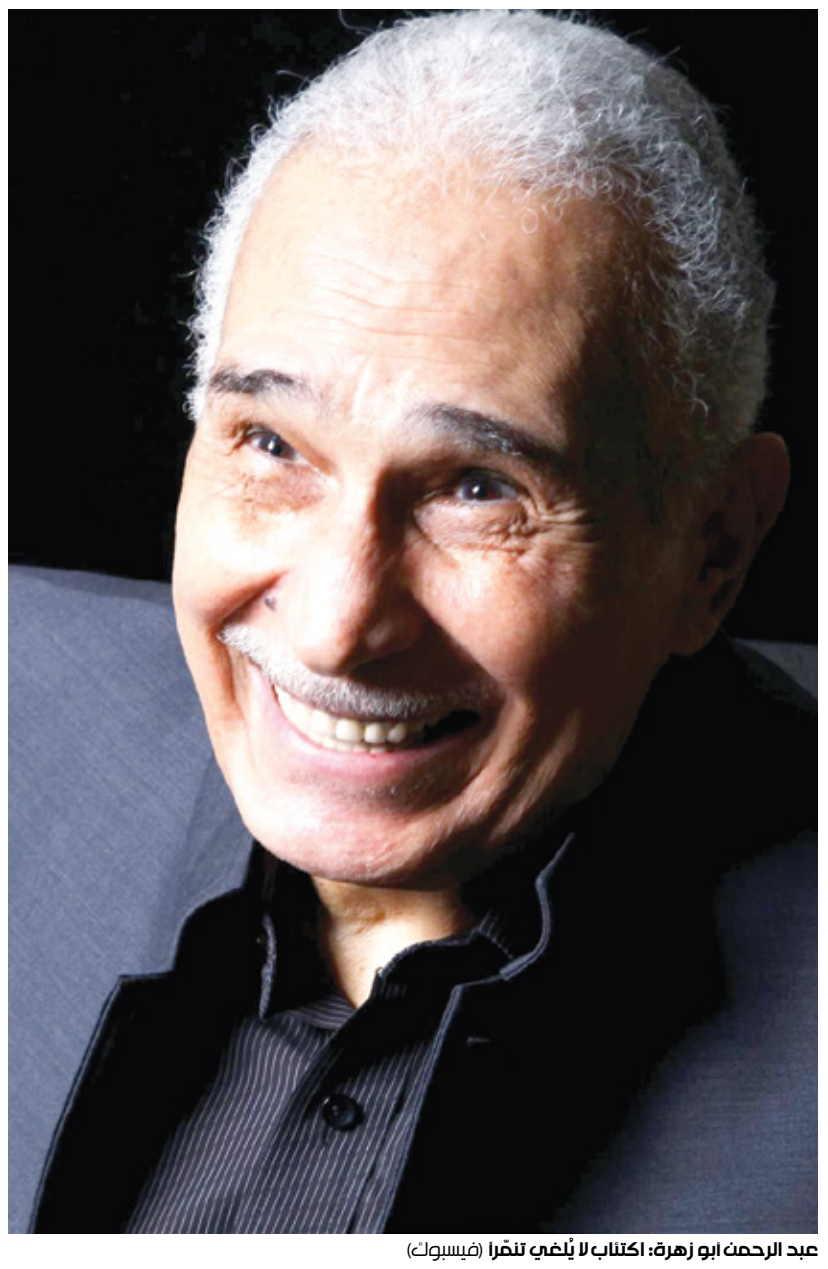

عبد الرحمن أبو زهرة: اكتئاب لا يُلغي تنمّرا (فيسبوك)

أفلام جديدة

■ Eva En Aout فيلم إسباني ليوناس ترويبا، تمثيل إيزابيل شتوفل (الصورة): إيفا (33 عاماً) قرّرت البقاء في مدريد خلال شهر أغسطس/ آب في عام ما، بينما أراد أصدقاؤها تمضية الإجازة بعيداً عن المدينة. الحرارة مرتفعة. تُقيم في منزل صديق يغادر المدينة بدوره لتمضية العطلة مع والدته في الريف. تمرّ الأيام بطيئة، لكن المناخ يوحي بنوع من الاحتفال والبهجة، فإيفا تختبر نمطاً مختلفاً للحياة والعلاقات.

■ The Climb فيلم أميركي لمايكل أنجلو كوفينو مخرجاً وممثلاً، مع غايل رانكن (الصورة): كايل ومايك صديقان حميمان، لكنْ لكل واحد منهما مزاج يختلف تماماً عن مزاج الآخر. صداقتهما تدفعهما إلى اختبار الحياة دائماً. مايك يُضاجع خطيبة كايل. هذا يعني تدمير الصداقة، لكنّ حدثاً دراماتياً يحصل فجأة، يقوّي علاقتهما أكثر من السابق.

■ Ete 1985 فيلم فرنسي لفرنسوا أوزون، تمثيل فاليري برونو تديشي (الصورة): صيف عيد ميلاده الـ16، يُنقذ ديفيد (18 عاماً) ألكسيس من الغرق. هذا يؤدّي إلى صداقة متينة بينهما. فهل تستمرّ الصداقة إلى ما بعد نهاية صيف عام 1985؟

غلاء بيروتيّ قاتل: أي صمت هذا؟

شهراً تلو آخر، ترتفع أسعار مجلّات أجنبية تصل أعدادها إلى بيروت وإنْ متأخّرة بعض الوقت. ارتفاع جنونيّ، كذاك الذي يُصيب المتطلّبات الضرورية واليومية للناس، كالمأكل والمشرب وحاجات الأطفال، ومسائل طبيّة أساسية. وصف الغلاء بالـ«فاحش» مُضحك، فالغلاء متفوّق على الفحش في بلدٍ محكومٍ بأفرادٍ فاحشي ثراءٍ وفاقدي أخلاق.

التنبّه إلى ارتفاع أسعار مجلّات أجنبيّة لن يحول دون عيشٍ يوميّ في قلب الغلاء المتفشّي في السلع والمتطلّبات الضرورية، كتفشّي «كورونا» في بلداتٍ وشوارع وتجمّعاتٍ.

ارتفاع الأسعار مخيف. هذا يؤدّي إلى زيادة الفقر والقهر والفوضى. الجوع أفتك من القتل. مطلب رضيع أعنف من فسادٍ وهدر. لكن هذا غير متمكّن، إلى الآن، من دفع فقراء ومظلومين إلى تمرّد حقيقيّ، يواجه خراب فاسدين يستمرّون في نهب حقوق الناس. ما يُخيف في هذا أكثر من غيره أنّ ارتفاع الأسعار يطاول سلعاً مُصنّعة محلياً، لكن جشع أناسٍ يملكون سلطة التحكّم بهذه السلع أبشع من نهب الفاسدين المتحكّمين بالبلد وناسه. للمجلّات الأجنبيّة حضورٌ تاريخيّ في المكتبة اللبنانية.

كثيرون يهتمّون بقراءتها وفقاً لاهتماماتهم ورغباتهم وميولهم الفكرية والثقافية والفنية. صحفٌ يومية يعتادها هؤلاء ورقياً، كالمجلات، قبل انتشار «الإنترنت» والمواقع الخاصة بها، ومعظمها يحتاج إلى اشتراك للاطّلاع على محتوياتها، وهذا أفضل في بلدٍ يعاني وطأة رقابة غير مُدركة أن عصر التقنيات أقوى من حماقة مراقبتها حرفاً أو كلمة أو جملة أو مقالة أو تعليقاً أو صورة منشورة في صحيفة أو مجلة. ورغم أنّ البعض مُصرّ على الورقيّ كمتعة قراءة في مقهى أو مكتب أو شرفة منزل، إلا أنّ الارتفاع الجنونيّ في الأسعار دافعٌ قوي إلى اعتماد منطق آخر في القراءة، يتمثّل باشتراك شهري/ سنوي في المواقع الإلكترونية الخاصّة بصحيفة أو مجلّة.

ن. ج.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني